أُمُّ المَعَارِك

اللَّـــهُ أكْبَـرُ مِـن بُـوشٍ وَعُصْبَتِـــهِ ... وَمِنْ طَـوَاغِيتِ غَرْبٍ تُـرْعِبُ العَرَبَـا

وَاللّـــهُ أكْبَـرَ لاَفِـــرْعَـوْنَ يُعْجِـــزُهُ ... وَلَـوْ عَـلاَ وَبَنَى فَوْقَ السَّمَـا قِبَبَـا

أرْضُ العُـرُوبَـةِ لِـــلأعْـدَاء مَقْبَـرَةٌ ... فَلْتَنْتَفِضِ غَضَبـــاً وَلْتَشْتَعِلِ لَهَبَـــا

وَمَجْـدُ يَعْـرُبَ أنْسَـــابٌ تُشَـرِفُنَـا ... إنْ لَمْ نَجِدْ فِي بَنِي الدُّنْيَا لَنَا نَسَبَا!

دَمُ العُـــرُوبَـــةِ مَـــاجَفَّتْ رَوَافِـــدُهُ ... وَقَـدْ دَعَتْنَـا لِنَحْمِيهَـــا، وَلاَ نَضَبَـا

سَقَتْ ثَـرَاهُ دِمَـــانَـا فَهِيَ غَـــالِيَـةٌ ... لاَ نَسْتَعِيضُ بِهَـا نَفْطـاً وَلاَ ذَهَبَـا !

هِيَ الصَلِيبِيَّـــةُ الـرَّعْنَـاء حَـــاقِـدَةً ... قَدْ أعْلَنُوهَا وَإنْ لَـمْ يَرْفَعُوا صُلُبَا !

سَاقُوا لَهَا مِن عَتَادِ الحَرْبِ مَا امْتَلأت ... بِهِ الـرِمَالُ وَمَـا غَطُّوا بِـهِ السُحُبَا !

تِلْكَ الـرِمَالُ الـزَكِيَّاتِ التِي طَهُـرَت ... رِحَابُهَـا وَنَفَتْ عَنْ قُـدْسِهَا الغُـربَا

حَجُّـوا إلَيْهَـا خِفَافـاً فِي جَحَـافِلِهم ... مُسْتَنْفِرِيـنَ لَهَا الأحْـلاَفَ وَالعُصَبَا

وَجَنّـــدُوا دُولَ الـدُّنْيَـــا بِـرُمَّتِهَـــا ... لِتَجْنِيَ الشَّوْكَ مِنْ بَغْـدَادَ لاَ العِنَبَا !

قِيَـامَـةٌ لَمْ تَـرَ الـدُّنْيَـا لَهَـا شَبَهـاً ... وَغَضْبَةٌ مِنْ قُوىً لَمْ تَعْرِف الغَضَبَا

تَـرَى حَلِيفَتَهَـا صَهْيُـــونَ سَـادِرَةً ... تُهَـــدِدُ الأمْنَ وَالقَـــانُـونَ وَالأدَبَـــا

تُمْلِي عَلَى الغَـرْبِ مَـــاتَهْـوَاهُ آمِـرَةً ... فَـــلاَ يَـــرُدُّ لَهَـــا أمْـــراً وَلاَ طَلَبَـــا

كَمْ مِنْ مَذَابِـحَ لَمْ تَغْضَبْ لَهَا دُوَلٌ ... غَـرْبِيَّـةٌ مَـلأتْ أسْمَـاعَنَـا كَـذِبَـا !

وَكَمْ مَنَـازِلَ هُـدت فَـوْقَ إِخْـوَتِنَـا
وَكَمْ سَجِيـنٍ، وَكَمْ مِنْ مُبْعَـدٍ نُكِبَـا !
لَمْ يَنْعَقِـدَ مَجْلِسٌ لِـلأمْنِ يَشْجُبُهَـا
وَلاَ تَـوَعَّـدَ (شَـامِيـرا) وَلاَ اكْتَأبَـا !
وَلاَ أقَـامَ لَهَـا الـدُّنْيَـا وَأقْعَـدَهَـا
وَخَـاضَ مِنْ أجْلِهَـا الأهْـوَالَ وَالكُـرَبَـا !
يَـاضَيْعَـةَ الحَقِ فِي دُنْيَـا بِـلاَ قِيَمٍ
ضِعَـافُهَـا أصْبَحَتْ لِـلأقْـوِيَـا سَلَبَـا !

* ● *

يَـا أُمَّـةً لَمْ تُطَـأطِئ هَـامَهَـا نُـوَبٌ
وَلَمْ يُضَعْضِعَ قُـوَاهَـا غَـالِـبٌ غَلَبَـا
كَأنَهَـا الأطْلَسُ الجَبَّـارُ صَـامِـدَةً
تَلْقَى الخُطُـوبَ، وَلاَ تَعْنُـو لَهَـا رَهَبَـا
بَغْـدَادُ بَحْـرُ لَظًى تَغْلِـي مَـرَاجِلُـهُ
دَمَـا وَدَمْعـاً وَلَمْ تَعْـدَمَ لَهَـا حَطَبَـا !
تُهَـدُّ آثَـارُهَـا هَـداً مُـوَدِعَـةً
وَهِيَ التِي طَـاوَلَت أمْجَـادُهَـا الحِقَبَـا
تَسْقِي السَّمَـاءُ بِطَـاحَ الأرْضِ وَابلَهَـا
وَغَيْثُ بَغْـدَادَ يَهْمِـي فَـوقَهَـا شُهُبَـا

مِنْ كُـلِ قَـاذِفَـةٍ تُلْقِي صَـوَاعِقَهَـا
مَـوْتـاً يُطِيحُ بِطِفْـلٍ أوْ يُمِيتُ أبَـا !
سَلِ الـرصَـافَـةَ وَالجِسْرَ الـذِي خَطَـرَتْ
بِـهِ الحِسَـانُ وَمَنْ غَنَّى وَمَنْ طَـرِبَـا
هَلْ كَـانَ فِيهَـا هُـولاَكُـو وَهْـوَ يَنْسِفُهَـا
إلاَّ مَـلاَكـاً رَحِيمـاً رَغْمَ مَـا ارْتَكَبَـا !
إنْ يَهْـدِمُـوا مَـابَنَـت أيْـدِي العِـرَاقَ فَفِي
حُمَـاتِـهِ طَـاقَـةٌ قَـدْ تَصْنَعُ العَجَبَـا !
ظَنُّـوا العِـرَاقَ ذَلُـولَ الظَّهْـرِ مَـرْكَبُـهُ
سَهْلٌ وَقَتَلَ بَنِيـهِ فِـي الـوَغَى لَعِبَـا !
وَرَاعَهُم أن عِمْـلاَقـاً يُـوَاجِهُهُم
كَـاللَّيْثِ فِـي غَـابِـهِ إنْ يُقْتَحَم وَثَبَـا
عِشْـرُونَ يَـوْمـاً مَضَتْ وَالنَّـارُ مُـوقَـدَةٌ
وَالغَـرْبُ لَمْ يَقْضِ مِنْ تَـدْمِيـرِهِ أربَـا
(كَنَـاطِحٍ صَخْـرَةً يَـوْمـاً لِيُـوهِنَهَـا
فَلَمْ يَضـرِهَـا) وَوَلَّى مُـرْهَقـاً تَعِبَـا !
كَأنَّ نَـارَ خَلِيل اللَّـهِ مُـرْسَلَـةٌ
عَلَيْـهِ بَـرداً وَجَمْـراً إنْ رَمَـوْهُ خَبَـا
كَمَنْ يُحَـرِّقُ غَـابَـاتٍ لِيُخْـرِج مِن
آجَـامِهَـا ثَعْلَبـاً فِي حُجْـرِهِ احْتَجَبَـا

عَمُــوا فَلَمْ يَكْشِفُــوا كُبْــرَى رَوَاجِمِــهِ
وَقَــدْ أذَا قَهْمُــو مِن صَــابِهَــا نُغَبَــا !
فَكَمْ أقَضَّـت قُلُــوبــاً وَهِـيَ وَاجِفَــةٌ
وَكَمْ قَضَى مُـرْعَـبٌ مِن قَصْفِهَـا رُعِبَـا !
لَـوْلاَكَ مَــا زُلْـزِلَت صَهْيُــونُ وَانْتَكَسَت
وَلاَ أحَــال (حُسِينٌ) دُورَهَــا خِـرَبَــا !
لَمْ تَعْــرِفِ الغَمْضَ حَتَّى فِي مَخَــابِئِهَـا
إذَا رَأتْ شَبَحــاً لَيْــلاً جَـرَتْ هَــرَبَــا !
غَـداً سَنَسْجُـدُ فِي الأقْصَــى وَنُـرْجِعُ مِن
أيْـدِي العِدَىٰ قُـدْسَنَا الغَـالِي الذِي سُلِبَـا
غَــداً سَنَشْهَــدُ أعْــرَاســاً لأمَّتِنَــا
وَيَـوْمَ صَحْـوَتِهَـا الكُبْرَى الـذِي اقْتَـربَـا
وَنَمْسَحُ العَــارَ عَنَّــا بَعْــد نَكْسَتِنَــا
وَنَسْتَــرِدُّ مِنَ الأمْجَــادِ مَــاذَهَبَــا
صَــدَّامُ ! دَمْـدِم فَـريـحُ النّصْـرِ قَـادِمَـةٌ
وَاسْتَغْنِ بِــاللّـهِ يَمْنَـحْ جُنْـدَكَ الغَلَبَــا !